

30

الأسبوع

الجزء السابع

مؤمن آل فرعون

مؤمن

بقلم : ١. عبد الحميد عبد المقصود
رسوم : ١. عبد الشافي سيد
إشراف : ١. حمدي مصطفى

انتهى قارون بعد أن خسف الله تعالى به وبداره وبكنوزه
الأرض ، لكن فرعون لم يتعظ بما حدث له ، وظل على
عناده وكفره وحربه لنبي الله موسى عليه السلام وما زال
الصراع بينه وبين موسى على أشده ، ففرعون يدرك أن
وجود موسى برسالته السماوية يهدده في حكمه ، وفي
ملكه ، وفي جبروته وادعائه الألوهية من دون الله ..
ولهذا فقد توصل فرعون إلى قرار خطير ، قرار

تَصَوَّرَ أَنَّ فِيهِ نَهَايَةَ مُوسَى ، وَالْقَضَاءُ عَلَى رِسَالَتِهِ ،
وَكَانَ هَذَا الْقَرَارُ الْخَطِيرُ هُوَ قَتْلُ نَبِيِّ اللَّهِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ
وَكَانَتْ حُجَّةُ الْفِرْعَوْنَ فِي ذَلِكَ هِيَ أَنَّهُ يَخْشَى عَلَى
شَعْبِهِ مِنَ الْمِصْرِيِّينَ أَنْ يُبَدِّلَ مُوسَى بِدِينِهِمُ الدِّينَ
الْجَدِيدَ ، وَهُوَ دِينُ التَّوْحِيدِ ، وَعِبَادَةُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ..
وَفِرْعَوْنُ بِذَلِكَ يَخْدَعُ نَفْسَهُ ، وَيَخْدَعُ شَعْبَهُ ، كَمَا
أَضَلَّهُ مِنْ قَبْلُ ، حِينَ أَوْهَمَهُ بِأَنَّهُ إِلَهُ ..

وَلَكِنْ كَيْفَ يَقْتُلُ فِرْعَوْنُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ؟ !
لَقَدْ طَرَحَ فِرْعَوْنُ الْفِكْرَةَ عَلَى حَاشِيَتِهِ مِنْ كِبَارِ رِجَالِ
الدَّوْلَةِ وَالْوُزَرَاءِ ، فَأَيَّدَهَا الْجَمِيعُ فِيمَا عَدَا رَجُلًا وَاحِدًا
هُوَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ ، وَلَكِنَّهُ يُخْفِي إِيمَانَهُ عَنِ الْفِرْعَوْنَ
وَحَاشِيَتِهِ .. اعْتَرَضَ هَذَا الرَّجُلُ الْمُؤْمِنُ بِشِدَّةٍ عَلَى
فِكْرَةِ قَتْلِ مُوسَى ، وَقَالَ لَهُمْ :

- كَيْفَ تَقْتُلُونَ رَجُلًا مُؤْمِنًا يَقُولُ رَبِّي اللَّهُ ؟ !
وَحَاوَلَ هَذَا الرَّجُلُ الْمُؤْمِنُ بِشَتَّى الطَّرِيقِ ، أَنْ يُبَيِّنَ

لَهُمْ أَنْ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ لَيْسَ مُجْرِمًا ، وَلَمْ يَرْتَكِبْ
جَرِيمَةً يَسْتَحِقُّ عَلَيْهَا الْقَتْلَ ، وَأَنَّ مُوسَى لَمْ يَقُلْ إِلَّا
« لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ » وَقَدْ جَاءَ بِالْأَدَلَّةِ وَالْبَرَاهِينِ
وَالْمُعْجَزَاتِ الَّتِي تَدُلُّ عَلَى صِدْقِهِ ، وَتُوَيِّدُ أَنَّهُ رَسُولٌ
مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ..

فَرَدَّ عَلَيْهِ فِرْعَوْنُ قَائِلًا :

- مُوسَى كَاذِبٌ ، وَلَيْسَ رَسُولًا كَمَا يَزْعُمُ ..

فَقَالَ الرَّجُلُ الْمُؤْمِنُ :

- إِذَا كَانَ مُوسَى كَاذِبًا كَمَا تَقُولُونَ ، فَهُوَ الَّذِي سَوْفَ

يَتَحَمَّلُ عَاقِبَةَ كَذِبِهِ وَافْتِرَائِهِ عَلَى اللَّهِ .. وَإِذَا كَانَ

صَادِقًا وَرَسُولًا مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، ثُمَّ قَتَلْتُمُوهُ ، فَكَيْفَ

سَتَنْجُونَ مِنَ الْعَذَابِ الْأَلِيمِ الَّذِي تَوَعَّدُكُمْ بِهِ مُوسَى ؟ !

فَقَالَ فِرْعَوْنُ سَاخِرًا :

- وَهَلْ تُصَدِّقُ هَذَا التَّهْدِيدَ مِنْ مُوسَى ؟ !

فَقَالَ الرَّجُلُ الْمُؤْمِنُ :

يا قوم أنتم اليوم في مراكز الحكم والسلطة ، فإذا
استغللتكم مراكزكم القوية في إيقاع الأذى والضرر
بموسى ومن آمن معه ، فمن ينجيكم من عذاب الله ، إذا
حل بكم ؟!



فرد فرعون على الرجل المؤمن - الذي يكتُم
إيمانه - بطريقة حازمة ، مُوضِحاً له أن الرأى رأيه هو ،
وهو لا يرى إلا الحق والصواب ، الذي يَهْدِي به قومه
إلى طريق الرِّشَاد ..

ولكن الرجل المؤمن لم يقتنع بكلام الفرعون ،
فأخذ يذكر الفرعون وحاشيته بقصص الأَقْوامِ
السَّابِقِينَ مثل : قوم نوح ، وقوم عاد ، وقوم ثمود ،
والأَقْوامِ التي جاءت من بعدهم .. وكيف أن هؤلاء
الأَقْوامِ كفروا بالله ، وكذبوا رُسُلَهُ الذين أَرْسَلَهُم
إِلَيْهِمْ ، ولم يَستَمِعُوا إلى نَصَحِهِمْ وإِرشَادِهِمْ ، فحَلَّ
عَلَيْهِمْ عَذَابُ اللَّهِ ، بتدميرهم وإهلاكهم في الدنيا ،
وتعذيبه لهم في الآخرة ..

ولم يكتف بذلك ، بل راح يذكرهم بقصة نبي الله
يُوسُفَ عليه السلام وهي قصة وقعت في مصر ، فقد جاء
يُوسُفُ بالآيات الدالة على صدق رسالته ،

وَبِرَغْمِ ذَلِكَ لَمْ يَصْدَقْهُ النَّاسُ ، وَلَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ ..

ثُمَّ رَاحَ الرَّجُلُ الْمُؤْمِنُ يُعْظِمُهُمْ قَائِلًا :

- يَا قَوْمَ لَقَدْ جَاءَتْكُمْ الْفُرْصَةُ لَكِي تَوْمِنُوا ،

فَلَا تُضِيعُوهَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيكُمْ ، فَتَنْدَمُوا إِلَى الْأَبَدِ ..

هَذَا رَسُولُ اللَّهِ مُوسَى قَدْ جَاءَكُمْ يَدْعُوكُمْ إِلَى الْهُدَى ،

فَلَمَّاذَا لَا تَهْتَدُونَ !؟

وَهَكَذَا رَاحَ الرَّجُلُ الْمُؤْمِنُ - الَّذِي يَكْتُمُ إِيمَانَهُ - يَقْنَعُ

فِرْعَوْنَ وَحَاشِيَتَهُ ، مَرَّةً بِالرَّغِيبِ ، وَمَرَّةً بِالتَّهْدِيدِ

وَالْوَعِيدِ ، وَيُوضِّحُ لَهُمْ أَنَّ فِكْرَةَ قَتْلِ مُوسَى فِكْرَةٌ

خَاطِئَةٌ ..

ثُمَّ طَلَبَ مِنْهُمْ أَنْ يَتَّبِعُوهُ فِي الْإِيمَانِ بِمُوسَى ، لِأَنَّ

الْإِيمَانَ هُوَ طَرِيقُ الرُّشَادِ وَالْفَلَاحِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ..

ثُمَّ أَخَذَ يُذَكِّرُهُمْ بِفِعْلِ الْخَيْرَاتِ وَالْإِبْتِعَادِ عَنِ الْمَعَاصِي

وَالسَّيِّئَاتِ .. وَأَخَذَ يُذَكِّرُهُمْ بِأَنَّ اللَّهَ سَوْفَ يُحَاسِبُ

النَّاسَ جَمِيعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا أَدْخَلَهُ

الْجَنَّةَ ، وَمَنْ عَمِلَ سُوءًا عَاقِبَهُ أَشَدُّ الْعِقَابِ ..
وهكذا أعلن الرجل المؤمن - الذي يكتُم إيمانه -
أعلن إيمانه أمام الفرعون وحاشيته ..
عرف الجميع أنه مؤمن .. وعرف الفرعون أن
واحداً من وزرائه أو مستشاريه المقربين إليه كان
مؤمناً بموسى ، لكنه كان يخفى عنهم إيمانه ..
فلما انكشف للجميع إيمان الرجل المؤمن ، أصبح
فرعون يخشى أن يتزايد أتباع موسى والمؤمنون به
داخل قصره ، وبين حاشيته ، ولهذا تحول انتباه
فرعون من فكرة قتل موسى ، إلى قتل الرجل المؤمن ..
ولكن فرعون فكر طويلاً ، وتوصل إلى أن قتل
الرجل المؤمن قد يثير غضب الناس ، كما أن التخلي
عن قتله فيه خطر عليه ..

وهكذا راح فرعون وحاشيته يمكرون بالرجل المؤمن
ويدبرون له المكائد ، للتخلص منه ، ولكن الله تعالى

حَفِظَهُ مِنْ مَكْرِهِمْ ، وَنَجَّاهُ مِنْ شَرِّهِمْ ..
وَبَرِغَمَ تَيَقُّنِ الْفِرْعَوْنَ مِنْ أَنَّ مُوسَى عَلَى حَقٍّ ، وَمِنْ
أَنَّهُ نَبِيٌّ مَرْسَلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، فَإِنَّهُ لَمْ يُؤْمِنْ بِهِ وَلَمْ
يَسْمَحْ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ بِمُغَادَرَةِ مِصْرَ وَالذَّهَابِ مَعَهُ ،
كَمَا طَلَبَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ .
بَلِ اسْتَمَرَّ الْفِرْعَوْنُ فِي قَتْلِ الْأَبْنَاءِ ، وَإِهَانَةِ النِّسَاءِ ،
وَتَسْخِيرِ الرُّجَالِ فِي الْعَمَلِ وَتَعْذِيبِهِمْ ..



وَشَدَّدَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ ابْتِلَاءً وَتَخْوِيفًا
لَهُمْ ، لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ عَنِ الْكَيْدِ لِمُوسَى وَالرَّجُلِ
الْمُؤْمِنِ ، وَتَعْذِيبِ بَنِي إِسْرَائِيلَ .. وَبَدَأَ سُبْحَانَهُ يَبْتَلِيهِمْ
بَعْدَ مِنَ الْآفَاتِ .. فَكَانَ أَوَّلُ ابْتِلَاءٍ لِفِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ ،
هُوَ نَقْصَانُ مَاءِ النَّيْلِ ، فَأَجْدَبَتِ الْأَرْضُ ، وَلَمْ تُخْرِجِ
الزَّرْعَ وَالشُّمَارَ الَّتِي كَانَتْ تَأْتِي بِهَا فِي كُلِّ عَامٍ ،
وَلِذَلِكَ انْتَشَرَتِ الْمَجَاعَةُ ، وَارْتَفَعَتِ الْأَسْعَارُ ،
وَاشْتَدَّ الْقَحْطُ وَالْفَقْرُ ..

وَبِرَغْمِ ذَلِكَ فَإِنَّ فِرْعَوْنَ وَقَوْمَهُ لَمْ يُؤْمِنُوا بِمُوسَى
وَرِسَالَتِهِ ، بَلْ إِنَّهُمْ أَرْجَعُوا ذَلِكَ الْجَدْبَ ، الَّذِي أَصَابَهُمْ
إِلَى تَشَاؤُمِهِمْ مِنْ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَإِلَى وَجُودِهِ بَيْنَهُمْ ..
وَكُلَّمَا اشْتَدَّ بِهِمُ الْقَحْطُ وَالْمَجَاعَةُ ، أَرْجَعُوا ذَلِكَ إِلَى
سَبَبٍ غَرِيبٍ ، وَهُوَ سِحْرُ مُوسَى ، وَاتَّهَمُوهُ بِأَنَّهُ هُوَ
الْمُتَسَبِّبُ بِسِحْرِهِ ، فِي كُلِّ مَا حَلَّ بِهِمْ .
ثُمَّ شَدَّدَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ ، مَرَّةً أُخْرَى ،



فَأَرْسَلَ عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ ..

فَاضَ النَّيْلُ فَيَضَانَا رَهَبًا ، وَبِطَرِيقَةٍ مُخِيفَةٍ ،
فَأَغْرَقَ الْأَرْضَ ، وَدَمَّرَ الْمَحْصُولَاتَ ، وَلَمْ تَعُدِ الْأَرْضُ
صَالِحَةً لِلزَّرَاعَةِ .. فَاسْتَمَرَ الْجُوعُ وَالْقَحْطُ ، وَاشْتَدَّ
ارْتِفَاعُ الْأَسْعَارِ ، وَاخْتِفَاءُ الطَّعَامِ .. وَفِي هَذِهِ الْمَرَّةِ
سَارَعَ الْقَوْمُ إِلَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَطَلَبُوا مِنْهُ أَنْ يَدْعُو لَهُمْ
رَبَّهُ ، لِيَكْشِفَ عَنْهُمْ مَا حَلَّ بِهِمْ مِنَ الضَّرِّ وَالْعَذَابِ ،
فَقَالُوا لَهُ :

- نَعْرِفُ أَنَّكَ مُسْتَجَابُ الدَّعْوَةِ ، فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ
يَكْشِفْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ وَسَوْفَ نُؤْمِنُ بِكَ ، وَنَتْرَكَ
بَنِي إِسْرَائِيلَ يَذْهَبُونَ مَعَكَ ..

وَدَعَا نَبِيُّ اللَّهِ مُوسَى رَبَّهُ أَنْ يَكْشِفَ عَنِ فِرْعَوْنَ

وَقَوْمَهُ مَا حَلَّ بِهِمْ مِنَ الضَّرِّ وَالْعَذَابِ ،
فَاسْتَجَابَ اللَّهُ تَعَالَى دَعْوَةَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَكَشَفَ عَنْهُمْ
مَا حَلَّ بِهِمْ مِنْ ضَرٍّْ وَعَذَابٍ ، وَعَادَتِ الْأَرْضُ لِتُخْرِجَ
مَحَاصِيلَهَا مَرَّةً أُخْرَى ، لَكِنْ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ لَمْ يُؤْمِنُوا
بِمُوسَى ، فَذَكَرَهُمْ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ بِأَنَّهُمْ وَعَدُوهُ أَنَّ
يُرْسِلُوا مَعَهُ بَنِي إِسْرَائِيلَ ، لَكِنَّ الْقَوْمَ تَنَكَّرُوا
لِوَعْدِهِمْ ..

وَشَدَّدَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ مَرَّةً أُخْرَى ،
فَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ فِي هَذِهِ الْمَرَّةِ أَسْرَابًا كَثِيرَةً مِنَ الْجَرَادِ ،
فَأَكَلَتْ زَرْعَهُمْ وَثِمَارَهُمْ ، وَلَمْ تَبْقَ لَهُمْ شَيْئًا ، وَعَادَتِ
الْمَجَاعَةُ تَعُمُّ الْبِلَادَ ، لَكِنَّ الْقَوْمَ لَمْ يُؤْمِنُوا ..

وَكَمَا حَدَّثَ مِنْ قَبْلُ لَجَأَ الْقَوْمُ إِلَى مُوسَى ، طَالِبِينَ
مِنْهُ أَنْ يَدْعُو لَهُمْ رَبَّهُ ، لِيَكْشِفَ عَنْهُمْ الضَّرَّ ، فَدَعَا
مُوسَى رَبَّهُ ، فَكَشَفَ عَنْهُمْ الْعَذَابَ وَالضَّرَّ ، لَكِنَّهُمْ
لَمْ يُؤْمِنُوا ، وَلَمْ يَسْمَحِ الْفِرْعَوْنُ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ
بِالْخُرُوجِ مَعَ مُوسَى ..

وَشَدَّدَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ مَرَّةً أُخْرَى ،

فَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ هَذِهِ الْمَرَّةَ « الْقُمَّلَ » فَانْتَشَرَ بَيْنَهُمْ
وَأَصَابَهُمْ بِالْكَثِيرِ مِنَ الْأَمْرَاضِ .. وَكَمَا حَدَثَ مِنْ قَبْلُ
لَجَئُوا إِلَى مُوسَى فَدَعَا مُوسَى رَبَّهُ ، فَكَشَفَ تَعَالَى
عَنْهُمْ « الْقُمَّلَ » وَرَفَعَ عَنْهُمْ الضُّرَّ وَالْعَذَابَ ، لَكِنَّهُمْ
لَمْ يُؤْمِنُوا ، وَلَمْ يَسْمَحِ الْفَرْعَوْنُ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ
بِالذَّهَابِ مَعَهُ ..



وشدّد الله عليهم مرةً أخرى ، فأرسل عليهم في
هذه المرة الضفادع ، فملأت مياه النيل وملأت
الأرض والشوارع والبيوت ، وتكاثرت في كل مكان
بشكل مروع ، فصاروا إذا أحضروا وعاء فيه ماء
ليشربوه يجدون فيه الضفادع ، وإذا جلسوا للطعام ،
قفزت الضفادع في طعامهم ، وإذا ناموا وجدوها في
فراشهم .. وكما حدث من قبل لجئوا إلى موسى ، فدعا
ربه ، فكشف عنهم الضفادع .. وكما حدث من قبل لم
يؤمنوا ، ولم يتركوا بني إسرائيل ليذهبوا مع موسى ..
وأخيراً ابتلاههم الله تعالى بأفزع ابتلاء ، وهو
الابتلاء بالدم .. تحولت مياه نهر النيل ، والمياه التي
يشربونها إلى لون وطعم ورائحة الدم .. والدم شيء
كريه لا يمكن للإنسان أن يستسيغ شربه ، أو يتحمّل
طعمه ومذاقه .. أصبح كل مصري يملأ وعاء ماء
ليشربه ، يتحوّل الماء في يده إلى دم ..



وَكَمَا حَدَّثَ مِنْ قَبْلُ تَوَسَّلَ الْفِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ إِلَى
مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ لِيَرْفَعَ عَنْهُمْ الضُّرَّ وَالْعَذَابَ ، فَدَعَا
مُوسَى رَبَّهُ ، فَكَشَفَ عَنْهُمْ مَا بِهِمْ مِنْ ضُرٍّ وَعَذَابٍ ،
لَكِنَّ الْقَوْمَ تَمَادَوْا فِي ظُلْمِهِمْ وَجَبَرُوتِهِمْ ، وَلَمْ يَسْمَحِ
الْفِرْعَوْنُ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ بِالذَّهَابِ مَعَ نَبِيِّهِمْ مُوسَى ..
وَرَفَضَ الْفِرْعَوْنُ رَفْضًا بَاتًا إِطْلَاقَ سَرَّاحِ بَنِي
إِسْرَائِيلَ ، أَوْ السَّمَّاحَ لَهُمْ بِمُغَادَرَةِ مِصْرَ .. بَلِ اشْتَدَّ
الْفِرْعَوْنُ فِي تَعْذِيبِهِمْ ، وَاشْتَدَّ فِي حَرْبِهِ عَلَى نَبِيِّ اللَّهِ
مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ .

(تَمَّتْ)

قصص الأنبياء
الكتاب التالي
موسى عليه السلام
(8)

(الخروج من مصر)
أحرص على اقتنائه